اغلاط المولدين

(تابع لما قبل)

وقال الصفيّ الحلّي

ان في ذلك اعتباراً وذِكرى يتوعّى بها ذوو الالبابِ

قولهُ يتوعى اي يتنبه ونحوهُ وهي كلمةٌ عاميّة . وقال ابن النحاس

ما زلت أقترع المصائب صابراً حتى انفردتُ لها وقلّ عديدي

يريد اقارع المصائب من مقارعة الفرسان في الحرب ولم يُسمَع الاقتراع الا من معنى القُرعة يقال تقارع القوم واقترعوا . على انهُ لا يمتنع في القياس ان يقال اقترعوا من المعنى الآخر كما يقال تقارعوا الا انهُ سواءٌ كان باحد المعنيين ام بالآخر فهو لا يكون الا لازماً تقول قارعت فلاناً واقترعنا ولا تقول اقترعتهُ . وقال ابن عبد الملك العزازي

يا خدّهُ ما أُحيلَى للعاشقين التثامَك

يريد بالالتثام اللثم اي التقبيل وهو غير محكيٍّ عنهم بهذا المعنى وانما يقال التثم اذا شدّ اللثام . ومثلهُ قول المقّري صاحب نفح الطيب

أنّى لها ثغرٌ حلا ذوقاً لمن رام التثامَهْ

ومن الغريب ان ابن الفارض مع رسوخ قدمهِ في اللغة واحاطتهِ بغريبها اتفق لهُ مثل هذا حيث قال

وفي التثامي ثغر الكأس مرتشفاً ريقَ المدامة في مُستنزَهٍ فَرِجِ

والمستنزَه قال الشيخ البوريني هو بفتح الزاي على صيغة اسم المفعول والمراد

منهُ اسم المكان اي في مكانٍ يستنزه فيهِ الانسان اي يكتسب النزهة . قال وفَرِج بفتح الفآء وكسر الرآء على وزن فَرِح مكان فرجة وهي انشراح الصدر . اه . وكل ذلك مما خلت عنهُ كتب اللغة . ومن هذا قول ابي العباس الضّبي يصف فرساً

لَوَ اُنَّ خدود الوردِ ارضٌ لأرضهِ لما مسَّها منهُ اذًى بارتكاضهِ

قولهُ ارضٌ لأرضهِ الارض الثانية بمعنى اسفل قوائمهِ . واراد بالارتكاض الركض اي العَدْو وهو لا يُستعمَل بهذا المعنى انما الارتكاض بمعنى الاضطراب ومنهُ ارتكاض الولد في البطن وارتكاض المآء في البئر وغير ذلك ولا يجيء من معنى الركض الا في قولك ارتكضوا في الحلبة اي تراكضوا وهو بمعنى المشاركة فليس مما ذكر . وقال بعدهُ

يريك نحول السهم عند اقتبالهِ ويبدي مثول الطود عند اعتراضهِ

يريد اذا اقبل عليك بصدرهِ رأيتهُ نحيلاً اي ضامر الجسم غير مُجفَر البطن فتراهُ منتصباً كالسهم واذا مرّ امامك معترضاً رأيتهُ عالي الظهر قائماً كالطود اي الجبل . فعبَّر عن الإقبال بالاقتبال وهو لا يجيءُ بهذا المعنى ولكن لهُ معانٍ كثيرة كلها بعيدة عن مرادهِ . وقال عبد الصمد الصفّار

فاشرب عليهِ فانهُ وقتٌ اذا ولّى تفاوَتَ ان يُنالَ فيوجدا

فعبَّر عن فاتَ بتفاوَتَ وانما يقال تفاوت الشيئان اذ تباعد ما بينهما لم يُحكَ فيهِ غير ذلك . وقال الوزير ابو عامر بن شهيد

ولما دهتني الحادثات ولم اجد لها وَزَراً اقبلت نحوك أعتدي

الوَزَر بفتحتين الملجأ وقولهُ أعتدي اراد استعدي اي استعين واستنصر

نحوَّلهُ الى صيغة افتعل وهي لا تكون بهذا المعنى ٠ وبعدهُ

ومثلك من يُعدِي على كل حادثٍ رمى بسهامٍ للردى لم ترصَّدِ

اراد لم تُتَرصَّد بتآءين اولاهما مضمومة من قولك ترصّدت الشيء اي ترقبتهُ. وحذفُ احدي التآءين لا يجوز الا اذا كانتا كلتاهما مفتوحتين واما اذا كانت الاولى مضمومةً فلم يُسمَع في شيءٍ من كلامهم لان ايتهما حُذِفت ادّى حذفها الى الالتباس ٠ وقال الحاجري

بِتْ ناعم البال بعيشٍ خلي الوجد والاحزان والهمُّ لي

حسّاد لذّاتك تُبلى بما بتُّ من الشوق بهِ مبتلي

فاستعمل ابتلى لازماً كانهُ مطاوع بلاهُ وانما هو متعدٍّ تقول ابتلاهُ الله بكذا كما تقول امتحنهُ واختبرهُ وهو مُبتلَى بفتح اللام ؛ ومثلهُ قول ابن السمان

رقيقة خصرٍ لا ترقّ لمغرمٍ قسيّة قلبٍ لا تلين لمبتلي

وقال ابن مشعل

أمَا رأيتَ الاسود رابضةً أما رأيت السيوف مُنتَضِيَةْ

وصوابهُ منتضاة لان هذا الحرف متعدٍّ تقول نضوت السيف وانتضيتهُ اذا جرّدتهُ من غمدهِ فهو مُنتضَى ٠ وقال السلاميّ

ليَ فيك التي ترى البحتريَّ امـــتازَ فيـ نظمها ابا تمامِ

يعني امتاز على ابي تمّام فعدّى الفعل بنفسهِ ٠ وقال ابو سعيد الرستميّ

شانئ ايامهِ يذوب شجىً من كمدٍ والحسود يزدهقُ

اراد يزهق اي يهلك فجآء بهِ على يفتعل ٠ وقال ابن محمد الشديد المالقيّ

رؤوفٌ قادرٌ يغضي ويعفو　　وان عَظُمَ اجتناءٌ واجترامُ

يريد بالاجتناء اتيان الجناية على حدّ الاجترام من الجرم الا ان هذا لم يُحكَ كما لم يُحكَ اجترَّ من الجريرة ولا اذدَنَب من الذنب. وقال لسان الدين بن الخطيب

ما كنت احسب ان انوار الحجى　　تلتـاح في قُنَنٍ وفي احجارِ

اراد بتلتاح تلوح اي تظهر ولا يقال تلتاح بهذا المعنى انما هو من اللُّواح بمعنى العطش . ومثلهُ قول استاذهِ ابن الجيّاب

يلتاح منهُ بأُفق الملك نور هُدًى　　تضاءلُ الشمس مهما لاح زاهرُهُ

وقال الصابي

أُؤازرُهُ فيما عرا وأُمـدُّهُ　　برأيٍ يريهِ الشمس والليل اغسقُ

اي والليل مظلم وانما يقال من هذا غاسق ومُغسِق ولم يُسمَع اغسق . ومثلهُ قولهُ ايضاً

وبدَّلنني صَلَعًا شاملاً　　من الشَعَر الفاحم الاغسقِ

وقال ابن عبد ربّهِ

بادر الى التوبة الخلصاء مجتهدا　　والموت ويحك لم يمدد اليك يدا

يريد بالخلصاء المُخلَصة ومقتضاهُ انها مؤنث الاخلص مثل حمراء واحمر ولم يرد هذا اللفظ في اللغة ولا وجه لبنائهِ من هذه المادّة . وقال لسان الدين

وقفراء اما ركبها فمضلَّلٌ　　ومربعها من آنسٍ غير مأنوسِ

يريد بالقفراء الارض المقفرة على انها اسمٌ كبيداء او مؤنث اقفر وكلاهما

غير منقول وقد تقدمت الاشارة الى ذلك في لغة الجرائد . ومن هذا قول طرز الريحان

يخيَّلُ لي في كل قفرآء أنَّما . بها الآل اشراكُ الهوان فأنفرُ

وقال ابن هاني

باتت مودّعةً لجيدٌ ممرضٌ يوم الوداع ونظرةٌ شزرآء

يريد بالنظرة الشزرآء ما كانت شزراً وهي ان ينظر الانسان بمؤخر عينيهِ او ينظر عن يمين وشمال ولا يقال من هذا نظرٌ اشزر ولا نظرةٌ شزرآء .

وقال البهآء زهير

فكونوا رفاعيين في الحب مرةَ وخوضوا لظى نارٍ لشوقيَ حرّآءِ

اراد حرَّى بالقصر مؤنث حرّان فمدَّهُ ضرورةً وانما الحرَّى العطشى لا الحارّة . وقال ابو طاهر الجيّاني يصف قلماً

خرْسانُ الاّ حين يرضع ثديها فتراهُ ينطق ما يشآء ويذكرُ

يريد ان هذا القلم اخرس فاذا استمدَّ حبر الدواة نطق فعبَّر عن اخرس بخرسان . ومثلهُ قول النابلسي

تعبانُ بي كمحمَّدٍ لا زال تعباناً حسُودُهُ

وقول ابن ابي حجلة المغربي صاحب ديوان الصبابة

زار الحبيب ووجه الورد خجلانُ فاصفرَّ حين تثنَّى قدُّهُ البانُ

وانما يقال هو تَعِبٌ وخَجِلٌ بفتحٍ فكسر فيهما ولا يقال تعبان ولا خجلان

(ستأتي البقية)

التنويم المغناطيسي

لا يزال التنويم المغناطيسي من الغوامض التي لم يجتلِ سرّها العلمآء والعُقَد التي حار في حلها ارباب العقول . وهم اليوم يبحثون في ثلاثة امور من هذا الفن اولها تنويم العجماوات وثانيها التنويم عن بعد وثالثها تنويم المحتضرين . اما تنويم العجماوات فيؤخذ من كتاب حديث للمسيو لافونتيان انهم قد نجحوا فيهِ . واما التنويم عن بعد فيظهر انهم سيتوفقون الى حلهِ على رغم ما يعترضهُ من العقبات والصعوبات فقد قيل ان رجلاً في احدى مدن المانيا توفّق الى تنويم فتاةٍ في برلين كان يهواها ثم امرها ان تقتل خطيبها وتتزوجهُ ففعلت كذلك ولكن الحكومة برّأتها لما علمت بحقيقة الامر وعاقبت المنوّم

اما تنويم المحتضرين فقد جآء عنهُ في احد الكتب الانكليزية فصل لا يخلو من فائدة وتفكهة نقلاً عن لسان احد الاطبآء الانكليز . قال الطبيب

اكملت دروسي الطبيّة في مدرسة ادنبرج الجامعة ونلت الشهادة التي تبيح لي تعاطي الطب فعزمت ان اقوم بسياحة كبيرة فازور اهمّ مدن اوربا واميركا ترويضاً للنفس ورغبة في الوقوف على الاكتشافات الحديثة في فن الطب ومشاهدة الامراض الغريبة . وكنت في اثنآء درسي الطب أميل كثيراً الى فن التنويم المغناطيسي والوقوف على كنه اسرارهِ لما لهُ من العلاقة بالطب ولذلك عزمت على درسهِ والتعمق فيهِ مهما صادفني من

المشاق . فلم تمرّ عليّ سنة بعد نيلي شهادة الطب حتى اصبحت ذا خبرةٍ واسعةٍ في هذا الفن واخذت امارسهُ في كثير من الامراض التي كانت تُعرَض عليّ

و بعد ان جلت في اشهر مدن اوربا واميركا الشمالية القيت عصا الترحال في مدينة نيو يورك فاقمت فيها لاتعاطى حرفتي وانا في اثناء ذلك مكبٌّ على درس التنويم الصناعي آناء الليل واطراف النهار فأقف كل يوم على سرٍ جديدٍ منهُ لان هذا الفن على تقادم عهدهِ لا يزال في مهد طفوليتهِ

وفي ذات يوم استُدعيت لعيادة صديق لي من العلماء يقال لهُ المستر ارنست ڤلديمار وكان كهلاً يناهز الاربعين من عمرهِ ربعة القوام اسود الشعر عصبيّ المزاج وقد نوّمتهُ عدة مرار ولكنني لم افلح قطّ في امتلاك ارادتهِ . فلما ذهبت لأعودهُ رأيتهُ ممدوداً على فراش الموت وحولهُ الدكتور جوزيف راڤيدس والدكتور فيليب فرّند وقد ايقن كلاهما بدنوّ اجلهِ . وكان وجههُ اصفر وعيناهُ مظلمتين وعظام وجههِ تكاد تبرز من خديهِ وهو لا ينتبه لشيء . واذ استكشفت الطبيبين المذكورين عن تفاصيل حالتهِ علمت ان الرئة اليسرى قد تصلّبت بتمامها واليمنى قد بدأ فيها التصلّب من قمتها و يظهر ان سير التصلّب كان سريعاً جدًّا اذ لم يكن لهُ من اثر قبل ذلك بشهر . و بعد قليل افاق العليل ولكننا علمنا ان ساعتهُ قد اقتربت فاستشرت رفيقيّ في تنويمهِ فلم يريا رأيي بل قالا ان ذلك قد يعجّل منيّتهُ . اما انا فاطلعت للعليل على قصدي واخبرتهُ انني عازم على تنويمهِ لعلّ في ذلك تأخيراً لأجلهِ . فاستسلم اليّ واذن لي ان افعل ما يحسن في عينيّ فاشهدت

الطبيبين المذكورين على قولهِ ثم شرعت في تنويمهِ فاخذت أمرّ كفي على جبهتهِ من اليمين الى اليسار وكانت هذه الطريقة أفعل الطرق التي اختبرتها في تنويمهِ سابقاً . على ان العليل لم تبدُ فيهِ علامات النوم هذه المرَّة فاضطُررت ان اغيّر الطريقة مراراً ولم احصل على نتيجة مرضية الا بعد ساعتين وعشر دقائق اذ استغرق العليل في سبات النوم المغناطيسي . وكان نبضهُ ضعيفاً جدًّا وانفاسهُ متقطعة وجسمهُ بارداً ولم تمضِ على نومهِ بضع دقائق حتى انقلب لون عينيهِ فجأةً وعاد اليهما لمعانهما . فامرتهُ ان يطبق جفنيهِ ويضطجع بهيئةٍ لا تتعبهُ وان لا يتحرَّك البتة ففعل كذلك . واذ فحصهُ الطبيبان الآخران تحقق لهما انهُ في سباتٍ صناعي لا ريب فيهِ . وكان الليل قد تناصف فذهب الدكتور داڤيدس ووعدنا ان يرجع في الصباح التالي . اما انا فلم يمكني اطالة السهر لانني كنت قد تعبت في الليلة الفائتة فنمت قليلاً ولكنني استيقظت على صوت الدكتور داڤيدس في الساعة الخامسة صباحاً . فنهضت فوجدت المستر ڤلديمار مستغرقاً في سباتٍ عميق فسألتهُ هل انت نائم . فقال نعم انا نائم . وكان صوتهُ اشبه بصوت رجل يتكلم من عالم الارواح فكنّا نسمع الصوت ولا نرى حركة في شفتي العليل . فسألتهُ ايضاً هل تريد ان اوقظك . فقال دعني استريح في سباتي الهنيء . فسألتهُ ألا تشعر بألم . قال واي ألم يلمُّ بالموتى . فقلت أوَتعلم اين انت الآن . قال دعني استريح واتمتَّع بهذا النوم

فلم ازعجهُ بعد ذلك بالاسئلة بل تركتهُ يستريح ومضيت . وعند الظهر عدت اليهِ انا والطبيبان فوجدناهُ نائماً وجسدهُ اشبه بلوح من خشب لا

يتحرك الا قطعةً واحدة . وكان نبضهُ ضعيفاً جدًا لا يكاد يُشعر بهِ وعيناهُ مطبقتين فسألتهُ قائلاً ألا تزال نائماً يا مستر ڤلديمار . فاجاب نعم ولكنني مائت لا محالة . ثم سكن نبضهُ وجمدت عيناهُ وخمدت انفاسهُ وبطل صوتهُ فلم يعد عندنا ريب في انهُ قد مات . فقمنا لتكفينهِ واذا بهِ قد تحرك قليلاً ثم سمعنا منهُ صوتاً لا ازال كلما ذكرتهُ يقشعرّ بدني ويستولي عليَّ الرعب والفزع لانهُ كان يشبه هزيم رعدٍ آتٍ عن بعدٍ شاسع او كأنهُ خارج من المغاور والكهوف أو من بطن الارض ولكن النطق كان فصيحاً والمقاطع واضحة . واستولى على الجميع هلَع عظيم ولاسيما الدكتور داڤيدس اذ اوشك ان يُغمى عليهِ . ثم لاحظنا انهُ كان يحاول التكلّم ولكنهُ قد فقد قوّة الارادة فلم يستطع النطق ولم يكن يجاوب احداً من السائلين غيري مع انني حاولت ان اصل بينهم وبينهُ بالسائل المغناطيسي فلم افلح

ولما تناصف النهار تركناهُ وانطلقنا ولم نرجع اليهِ حتى وقت الغروب فوجدناهُ على ما كان عليهِ ثم تفاوضنا في هل نوقظهُ من نومهِ أم لا .فاجمع الرأي على تركهِ على حالتهِ خوفاً من ان نعجّل حتفهُ

فظل العليل سبعة اشهر على هذه الحالة وانا اعودهُ كل يوم فلا ارى فرقاً أو تغييراً في حالهِ حتى اتفقنا اخيراً على ايقاظهِ فأخذت أُمِرّ يديَّ على وجههِ بحسب العادة المألوفة فلم يأتِ ذلك بفائدةٍ في اول الامر ولكن بعد قليل لحظت ان عين العليل قد انخفض بؤبؤها ثم افرزت مادة صفرآء . وعند ذلك سألت العليل ان يصف لنا وجدانهُ وان ينطق بوصيتهِ الاخيرة فارتجف لسانهُ في فمهِ بسرعةٍ وشدةٍ كأنهُ ينتفض بمجرى كهربائي واخيراً

سمعنا صوتاً كالصوت الذي ذكرتهُ سابقاً يقول «اسرعوا اسرعوا نوّموني فانني مائت» . فحاولت بأسرع من لمح البصر ان اوقظهُ فما كاد يستيقظ حتى رأيناهُ امامنا جثةً بلا حراك لينة كالعجين فأمرنا بتكفينهِ ودفنهِ

سليم عبد الاحد

معبودات المصريين

لا يخفى ان تاريخ المصريين الاولين من اغمض التواريخ واخفاها آثاراً لقِدَم هذه الامة و بُعد العهد باوائلها الى ما قبل زمن التاريخ بمُدَد متطاولة. واقدم ما يتناقلهُ الرواة من امرها لا يتعدى خمسة آلاف سنة قبل التاريخ الميلادي وهو العهد الذي قامت فيهِ اول سلالة من ملوكهم بعد عهد الكهنة الا ان الآثار الباقية عنها تدلّ على ان الحضارة كانت منتشرة بينها قبل ذلك بآلافٍ من السنين

اما اصل هذه الامة فاكثر المؤرخين على انها من بلاد النوبة وكان اول من ورد منها على وادي النيل شراذم من الرعاة نزلوا على جوانبهِ فرتعوا منها في ارضٍ طيبة ومرعىً خصيب ثم كانوا يتبسطون شمالاً كلما اتسعت الارض امامهم بما تزيد اتربة النيل في اطرافها . وهو محصَّل قول ديودورس وجماعةٍ من المتأخرين استدلالاً بما يُرَى من الشبه بين ملامح المصريين الاولين وسكان النوبة الحاليين . الا ان هذه الملامح انتسخت على تراخي الزمن بما طرأ على السلالة المصرية من الامتزاج بالامم التي استولت على البلاد طوراً بعد طور بحيث لم يبقَ فيهم شيءٌ من شبه اسلافهم

لاولين . وفي رأي بعض المحققين ان المصريين يرجعون الى سلالةٍ ساميةِ الاصل وردت مصر عن طريق برزخ السويس فدحرت من وجدتهُ على شواطئ النيل من السُلالة النوبية الى داخل البلاد واستقرّت في مكانها . ومن هذه السلالة كان مبدأ الحضارة المصرية خلافاً لما ذهب اليهِ ديودورس من ان المصريين اخذوا معبوداتهم عن الحبشة لان اقدم ما يُرَى في بلاد الحبشة من آثار المعبودات المصرية لايتعدى زمن البطالسة فهي ولا ريب مما اقتبستهُ الحبشة عن مصر عند توحيد السلطة في البلادين في العهد المذكور

على ان المعبودات الاولى سوآءٌ كانت في مصر ام الحبشة لم تكن تخرج عن العوامل الطبيعية من نحو النار والمآء والهوآء وعن بعض الحيوانات النافعة او الضارّة على ما هو معروف من شأن كل امةٍ في حال بداوتها الاولى . على ان المصريين كانوا يعبدون خلا ذلك بعض الاجرام السماوية كالشمس والقمر وغيرهما من معبودات الصابئة وقد كان هذا المذهب لذلك العهد فاشياً بين العرب وغيرهم من سكان غرب آسيا وهو مما يؤيد ما تقدم ذكرهُ من اصل الحضارة المصرية . ثم ان هذه العبادات استمرّت بينهم ينتحلها الخلف عن السلف الى آخر عهدهم وحين بلوغهم اقصى مبالغ العلم والفلسفة فضلاً عما زادوا عليها مما لا يخرج عن مشاكلتها بيد ان معنى تلك المعبودات كان عند ذوي العلم منهم على خلاف ما كان عليهِ عند العامة وعلى غير ما كان في اعتبار المتقدمين من اسلافهم على ما سنعود الى بيانهِ

وذكر هيرودوطس ووافقهُ ديودورس ومانيتون انهُ كان قبل عهد

منَس رأس السلالة الاولى من الفراعنة ثلاث سلائل من الآلهة كان الكهنة يصدرون عن وحيهم ويبرمون الاحكام باسمآئهم وكانت مدّة ملكهم جميعاً على ما قدَّرهُ مانيتون ١٦٩٧٢ سنة . واقدم تلك الآلهة اوزيريس وايزيس وهما توأمان وُجدا من تلقآء انفسهما ثم تزوج اوزيريس بايزيس فولدت هُورُوس وهو الشمس فكان الثلاثة الهاً واحداً هو اله الخير. الاّ ان اوزيريس كان مسلَّطاً على مملكة الاموات ولذلك كان كلّ محنَّطٍ يسمى اوزيريان . وكان لاوزيريس اخٌ يسمى تِيفُون وهو اله الشرّ والظلمة والجدب ولهُ توأمةٌ ايضاً تسمى نفتيس تزوج بها ولم يُذكَر انها ولدت لهُ لكنها ولدت من اوزيريس ولداً سُمّي انوبيس وهو اله الجحيم

وبنى اوزيريس مدينة ثيبة ووضع الشرائع والعبادات وسنّ الزواج واستنبط الكتابة والصنائع . ودار في خَلَدهِ بعد ذلك ان يعمّم المَدَنية في الارض فجمع جيشاً كبيراً وانطلق بهِ شرقاً حتى بلغ الهند ودوّخ هذه البلاد كلها واخضعها لسلطانهِ . وكان عند خروجهِ قد فوّض الى اخيهِ تيفون ان يتسلط على الصحرآء شرقيّ مصر ولكن تيفون طمحت نفسهُ الى الاستيلآء على البلاد بأسرها فوجهت اليهِ ايزيس دجُوم وهو هركول عند اليونان فدحرهُ . فلما قفل اوزيريس من رحلتهِ احتال عليهِ تيفون حتى اغتالهُ ثم جعل جثتهُ في تابوت والقاهُ في النيل . فاشتدّ الامر على زوجتهِ ايزيس وبعثت من يبحث عنهُ في النيل حتى عثرت على جثتهِ فدفنتها ولكن تيفون اخرج الجثة من القبر وقطّعها اربع عشرة قطعةً فرّقها في كل ارض مصر فعادت ايزيس ودفنت تلك القِطَع في مواضعها الا واحدةً

منها وشادت فوق مدفن كلٍّ منها هيكلاً . ثم جرّدت جيشاً على تيفون سيّرتهُ تحت إمرة ابنها هوروس فكانت بينهما واقعتان اجات الثانية منهما عن قتل تيفون . وشاع بين المصريين بعد ذلك ان نفس اوزيريس حلّت في ثور ومن هنا نشأت عبادتهم للعجل المسمى آپيس لاعتقادهم انهُ هو اوزيريس بعينهِ وكانوا يقيمون لهُ عيداً سنوياً فكان كل مصريٍّ يذبح في ذلك اليومِ خنزيراً على باب منزلهِ

وكان من اشهر قبور اوزيريس قبرٌ لهُ في جزيرة فيلي بالصعيد وهي المعروفة اليوم بجزيرة الهَيف او البِربا وكانت مقدساً لعبادتهِ يؤمّها المصريون من كل بلد ولا يزال فيها بقايا هيكلٍ لهُ وهيكلين آخرين احدهما لايزيس والآخر لتيفون . وكانوا يمثلون اوزيريس بهيئة رجلٍ على رأسهِ تاجٌ مُصفح او رجلٍ برأس ثور او رأس باشقٍ او كُركيّ ويمثلون ايزيس بشكل فتاةٍ على رأسها قرنان او هلال . وكانوا يبنون بجانب كل هيكل من هيا كل آلهة الخير هيكلاً صغيراً لتيفون يسمونهُ بالهيكل الاسود وكان يُحتفَل بتيفون في مدينة هيرَ كليوپُوليس الصغرى ولذلك أُطلق عليها تيفونوپوليس اي مدينة تيفون (ستأتي البقية)

الحشرات السامّة

ما زال هذا الوجود مُعترَكاً يتنازع فيهِ الاحيآء اسباب البقآء فلا يستتبّ بقآء فريقٍ الا بفنآء غيرهِ سُنّة الله في خلقهِ الى ان تدور على الكل دائرة الفنآء . فاذا تأملت الاحيآء من كل نوع وجدتها جنوداً مجنّدة

قد خصّت الطبيعة كلاً منها بسلاحٍ يسطو بهِ تارةً ويدفع بهِ عن نفسهِ اخرى فجعلت لذوات البأس منها الظفر والناب وللضعيفة السموم تشلّ بها اعضآء القويّ فيقف من دونها مكبّلاً وتخبل اعضآء الضعيف فتقيّدهُ عن الدفاع او الهرب حتى يكون لها مغنماً بارداً

الا أن اعظم الخطر على الانسان انما هو من ذوات السموم ولاسيما اصغرها جرماً لبقآئها مجاورةً لهُ في اكثر البلدان حتى في ارقاها حضارةً واحفلها مجتمعاً . وهي اما من ذوات الفقار كبعض اصناف الثعابين مما سنفرد الكلام عليهِ في فصلٍ مخصوص واما من الحيوانات المفصلية كالعقرب والعنكبوت والنحل والزنبور والبعوض وامثالها . ولكل واحدٍ من هذه الانواع سلاحٌ مخصوص يستعين بهِ على نفث ما يفرزهُ من السمّ في جسم الملسوع . وهو اذا دخل الجسم انحصر فعلهُ تارةً في موضع الجرح كسمّ النحل والبعوض فيُحدِث فيهِ التهاباً وتعدّى تارةً الى سائر البنية بتخللهِ اجزآء الدم وجريهِ معهُ في الدورة فيؤدي الى فسادهِ

على ان اكثر الحشرات المذكورة انما جُعِل الجهاز السميّ فيها آلةً للصيد تستخدمها في افتراس صغار الحيوان ولا تكاد تتعمد اذى الانسان الا من قبيل الدفاع عن نفسها وندر منها ما يسطو على الانسان بقصد الافتراس كبعض اصناف البعوض التي تغتذي من دمهِ

واغرب انواع تلك الحشرات العنكبوت فقد خصّتها الطبيعة بهذا النسيج الذي تبسطهُ امام مكمنها فيكون لها بمنزلة شركٍ تأسر فيهِ فريستها من الهوامّ الصغرى فاذا نشبت فيهِ وثبت عليها فغرزت فيها حُمَتها ثم

جذبتها الى داخل مقرّها . وللنسيج المذكور منفعةٌ اخرى وهي ان يكون منذراً للعنكبوت وهي في مخبأها فانها اذا رأت خيوطهُ تضطرب علمت ان هناك فريسةً او عدوًّا فتستعدّ للوثوب او الهرب

ومن العنكبوت صنف يُعرَف بالرُتَيلآء وهي اكثر ما تكون في الاراضي المشمسة فتحفر في الارض بئراً عمودية يبلغ عمقها الى ٤٠ سنتيمتراً وتبني عند اعلاها برجاً من دُقاق العيدان والصلصال وتبطنها من داخل بشبكة من نسيجها تسهّل عليها التسلق الى الاعلى. فاذا استهوى شيئاً من صغار الحيوان منظر ذلك البرج فوقع عليهِ وثبت اليهِ في اسرع من لمح البصر فلا يستطيع التخلص منها ولو كان من امضى ذوات الاجنحة سلاحاً كالنحلة والزنبور لانهُ يموت قبل ان يتمكن من الدفاع عن نفسهِ

الا ان اهول انواع المفصليات العقرب فان سمها افعل من سم الرُتيلآء بحيث انهُ يقتل صغار الحيوان والعصافير للحال . ومنها اصنافٌ بالمكسيك والهند وارض مصر ذات خطرٍ على الانسان حتى لقد تقتل الاطفال والشيوخ . واخوف ما تكون العقرب اذا دبّت ليلاً لطلب الصيد فانها تدخل المساكن حتى تتغلغل في الفُرُش والاسرّة طلباً لفريستها فاذا اتفق ان يتحرك النائم حركةً تروعها ضربتهُ بابرتها على غير قصدٍ فينتبه على شدة الالم الذي ينالهُ من حدّة تلك اللسعة

اما الزنابير فلا تسطو ما لم توجس خطراً على اعشاشها واذ ذاك فانها تتألب للدفاع بحدّة غريبة. وكذلك تفعل اذا ارادت صيد شيء من انواع الهوام كالذباب والجراد والفراش والنحل وهي انما تصطادها بقصد تغذية

صغارها فتحمل ما تصطاده منها وتنزع اجنحته وقوائمه وكل ما فيه من الاعضاء الصلبة وتلوك باقيه ثم تفرغه في افواه انقافها فتزدرده على السهولة

على ان من الزنابير ما يعيش منفرداً فاذا ارادت الانثى ان تبيض اعدّت عشها بنفسها وجعلت فيه من الطعام ما يغذو أنقافها فتصطاد ما يتفق لها صيده من الحيوان وتتركه الى ذلك الحين . ومن عجيب امرها والحالة هذه انها مخافة ان تفسد تلك الجُثَث اذا طال عليها الزمن ولا سيما في اوان شدة الحرّ لا تعمد الى قتلها ونزع اطرافها على ما تقدم ذكره ولكنها تخدّرها تخديراً شديداً ثم تجرها الى عشها وتضع بيضها على الجثة نفسها فيلتصق بها فاذا نقفت الصغار بعد ذلك وجدت امامها غذاء طريئاً . وهذا التخدير يتم بأن تنفث سمها في المراكز العصبية من الفريسة فتفقد كل شعور وتلبث كالنائمة وبذلك يمكن ان تبقى شهراً كاملاً ولا يعرض لها فساد وهذا مما حيّر عقول الحكماء في هذا الالهام الغريب

ويقرب من ذلك ما تفعله النحل فقد ذكر احد المراقبين من علماء طبائع الحيوان ان النحلة قبل ان تختم بيتها تغمس ابرتها في العسل وتعصر فيه قطرةً من سمها وهذا السمّ بما يشتمل عليه من الحامض النمليك والجواهر العطرية يمنع اختمار ما في العسل من المادة السكّرية ويحميه من من المكروبات فلا تقربه

بقي ان نذكر هنا ان النحل والزنبور اذا لسع خلّف ابرته في الجرح فينبغي عند معالجة لسعه ان تُنزَع تلك الابرة غير انه مع ذلك يترك معها غُدّةً صغيرة هي المتصلة بأصل الابرة وهذه الغدّة يكون فيها بقية من السمّ فاذا

عولجت الابرة لنزعها انعصر هذا السم في الجرح فيزيد الالم. ولذلك يجب قبل نزعها ان تُقطَع الغدة اولاً بالمقصّ ثم تُستخرَج الابرة وبعد ذلك يكمَّد الموضع بالمآء الصِرف او المحمَّض بالخلّ او محلول اسيتات الرصاص او سائل الامونياك . ولسع هذه الحشرات لا خوف منهُ على حياة الملسوع الااذا كثر وهو شديد الالم ويحدث عنهُ ورمٌ مستديرٌ جاسٍ وحمرة التهابية الا انهُ محدود الامتداد . واما لسعة العقرب فتُحدِث اولاً التهاباً موضعياً يصحبهُ ورمٌ عظيم ويعقبها حمى وقيء واضطرابٌ عامٌ في الجسم وعرقٌ غزير فتعالج هذه الاعراض بالامونياك من الداخل والخارج وبالمكمّدات المحلّلة للاورام . ومن الناس من يعالجها بزيت العقرب وهو علاجٌ قديم وصِفَتهُ ان تُنقَع العقرب في زيت الزيتون ويُحفَظ هذا الزيت الى حين الاقتضآء ويقال انهُ من العلاجات النافعة والله اعلم

اسئلة واجوبتها

القاهرة — جآء في كلام احد الكتاب ان دخول أل على القسطنطينية غلط فانها من الاسمآء التي لا يدخل عليها حرف التعريف مثل مكة ومصر ودجلة وغيرها فما قولكم في ذلك   مستفيد

الجواب — الصحيح ان القسطنطينية ونحوها لا تُستعمَل الا مقرونةً بأل ولا يجوز تجريدها منها الا في الضرورة وذلك انها موضوعةٌ في الاصل وضع الصفات لا وضع الاعلام اذ هي منسوبةٌ الى قسطنطين الملك فكأنهُ قيل المدينة القسطنطينية مثلاً ثم صارت علماً عليها . ومثلها الاسكندرية

والصالحية والعباسية والتوفيقية والمأمونية والمنوفية والشرقية وما جرى مجراها من الاسمآء المنسوبة . ويلحق بها كل ما قُصد بهِ في الاصل معناهُ الوضعي وصفاً كان كالقاهرة والمنصورة والمحصَّب والزوراء ام اسم جنس كالجزيرة والعقبة والقدس والحَرَم والمدينة . وبخلاف ذلك نحو مكة ومصر ودجلة لان هذه الاسمآء وما شاكلها وُضِعت من اصلها اعلاماً على الاماكن التي سميت بها ومثلها في اسمآء الناس نحو خالد ومسعود وعثمان وبكر واسد وصخر فانهُ يراد بها مجرَّد الدلالة على المسمّين بها دون القصد الى معانيها الوضعية كما هو ظاهر . ولذلك لا تكون أل في هذه الاسمآء وامثالها الا زائدةً كما في الحَسَن والحارث والخليل ما لم يُقصَد ببعضها المدح أو الذمّ أو التفاؤل فتدخل عليها أل للمح المعنى الوضعيّ فيها وحينئذٍ يكون استعمالها كذلك من قبيل التورية

ويلحق بما ذُكر ألقاب الأُسَر من نحو الحدّاد والخياط والنجار والكاتب والتاجر والحمصي والحموي وغيرها فان أل لازمةٌ لها لانها وُضِعت في اصلها وضع الصفات لتحقق معانيها فيمن أُطلقت عليهِ اولاً ثم غلبت على اصحابها غلبة الاعلام ولزمت أُسَرهم من بعدهم بخلاف ما وُضع منها وضع العَلَم كفاضل وبشير وغيرهما مما مرّ في اعلام الافراد ولذلك لا بد في هذه الاسمآء من استصحاب أل حكايةً لاصل الوضع وان لم تكن معانيها مقصودةً في الحال

حيفا — قرأت في كلام بعض علمآء عصرنا من مراسلي مجلة الشرق

ان حيث تأتي حرف تعليل خلافاً لما ذكرتموهُ في لغة الجرائد من انها لا تكون الا ظرفاً للمكان وقد استشهد على ذلك بكلام لسيبويه في كتابهِ المشهور كقولهِ « فمن ذلك لفظ ستّ وانما اصلها سدس وانما دعاهم الى ذلك حيث كانت مما كثر استعمالهُ في كلامهم » اهـ . ولا يخفى ان ورود حيث على هذا الوجه في كلام مثل سيبويه مما يصعب نقضهُ فأرجو ان تفيدوني في ذلك رأيكم ولكم الفضل

احد المشتركين

الجواب — افضل ما نجيبكم بهِ على هذا السؤال ان نردكم الى ما ذكرنا في صدر مقالتنا « اغلاط المولدين » مما تجدون فيهِ تبصرةً تغني عن الاطالة في هذا الموضع . بيد أنّا لا بد ان نقول ان صاحبكم قد غفل في عبارة سيبويه عن امرٍ كان ينبغي ان يتفطن لهُ قبل استظهارهِ بورود حيث فيها حرفاً للتعليل . وذلك انكم اذا بحثتم في العبارة المذكورة لا تجدون فاعلاً لقولهِ « دعاهم » فقد كان الاولى أن يجعل حيث حرفاً مصدرياً حتى تُسبَك مع الفعل الذي بعدها بمصدرٍ يكون هو فاعل الفعل المذكور . وحينئذٍ فهي مثل الواو في قول الآخر « فما راعها الا والحبّ جارٍ مجرى الدم في مفاصلها » فان الواو من قولهِ « والحبّ » ينبغي ان تكون مصدريةً ايضاً تُسبَك مع الخبر الذي بعدها بمصدرٍ هو فاعل « راعها » ولعل هذا اقل غرابةً من جعل فاعل راعها « ضمير الشأن » كما زعم وهي بدعةٌ لم يقل بها احدٌ قبلهُ كما يمكن ان يستفيد ذلك من اصغر تلامذة المدارس

فكاهات

شرلوك هولمز (١)

— ١٩ —

الشفة المقلوبة

كان لي في لندن صديق عرفتهُ لان زوجتهُ كانت رصيفة زوجتي في المدرسة وكان استاذاً في كلية القديس جورج واسمهُ هويتني . وحدث ان قرأ يوماً عن فعل الافيون والحالة التي يشعر بها من يتعاطاهُ فاراد ان يختبر ذلك في نفسهِ فابتدأ بوضع بعض نقط لودنم على التبغ الذي يدخنهُ وما غتم ان الف هذه العادة ووجد كما وجد غيرهُ ان الدخول من باب هذه العادة يسير جدًّا ولكن الخروج عسير . وقضى سنوات عديدة مستعبداً لهـذه العادة القتالة فكنت تراهُ في اكثر اوقاتهِ مصفرّ اللونِ مرخى الجفون وقد جثم على كرسيٍّ بحالةٍ مزرية لا نسبة بينها و بين حالتهِ الاولى الشريفة

وحدث ذات ليلة من شهر يونيو سنة ٨٩ انني عند ما دخلت لانام سمعت جرس الباب يقرع بعنف ثم سمعت باب المنزل قد فتح وتبودلت بعض كلمات تبعها وقع اقدام و بعد ذلك فتح باب الغرفة ودخلت منهُ سيدة بلباس اسود وقد سدلت على وجهها نقاباً اسود فقالت ارجو المعذرة لقدومي في هذه الساعة المتأخرة . ثم وقع نظرها على زوجتي فاسرعت اليها وطوقت عنقها بذراعيها وهي تنتحب وقالت انني سيئة البخت يا عزيزتي وارجو مساعدتكم . فاستغربت زوجتي ذلك ورفعت نقاب المرأة فعرفتها انها صديقتها زوجة هويتني فقالت لها ما بالكِ يا كتي فقد هالني امركِ .

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

فاجابت انني يا عزيزتي في منتهى اليأس وقد اتيت اليكِ بل الى زوجكِ الدكتور وطسن راجية ارشادهُ ومساعدتهُ . وكانت قد سبقت فجآءَت مراراً تستشيرني في امر زوجها وعادة الافيون فخطر لي انها انما قدمت الآن لمثل ذلك . اما هي فاردفت حديثها بقولها اتيت لاخبركم عن زوجي هويتني فانهُ غاب عن المنزل منذ يومين ولم يعد وانا في قلق عظيم وقد عرفت مؤخراً انهُ يختلف احياناً الى قهوة حشيش دنيئة في طرف البلدة ويعود منها منهوك القوى غائب الرشد . ولا يبعد ان يكون غيابهُ في ذلك المكان الملعون ولكني لا استطيع ان اذهب للبحث عنهُ في ذلك الجحيم وانتشلهُ من بين الاوباش المحيطين بهِ . وادركتُ للحال ما يجب ان افعلهُ وكنت في اثنآء معالجتي لهويتني قد اكتسبت بعض السطوة عليهِ فوعدتها ان اذهب بنفسي واركبُ عربة توصلهُ الى بيتهِ . وبعد بضع دقائق كنت في عربةٍ اقلّتني الى المكان المذكور وانا لا اعلم ما ثمَّ من امور الغيب . ولما بلغت القهوة امرت السائق ان ينتظرني ودخلت بعد صعودي في سلم صغير قد تكسرت درجاتهُ الحجرية الى دهليز منحدر اوصلني الى باب كهفٍ فتحتهُ فرأيت ورآءهُ غرفة واسعة ولكنها تكاد تكوّن مظلمة لما انتشر فيها من دخان الافيون والحشيش المتلبد في فضآئها فضلاً عن الرائحة القتالة المنبعثة منهُ . ولما أَلِفت عيني المنظر رأيت الاشخاص او بالحري الاشباح المتوسدين الارض ومناظرهم تقشعرّ لها الابدان فمنهم من فقدوا الحركة كالاموات وغيرهم لا يظهر من حركتهم الا تألق نار اللفائف وهم يمتصون سمها المحترق وبعضهم يتكلمون همساً بضع كلمات ويعودون الى سكوتهم. ورايت في اقصى الغرفة مستوقداً تشتعل فيهِ النار والى جانبهِ كرسي صغير عليهِ رجل طويل القامة رقيق الجسم قد اسند ذراعيهِ الى ركبتهِ ووجههُ الى راحتيهِ وهو يتأمل في النار . ثم جآءني فتى اسمر اللون هندي وفي يدهِ الغليون فقدمهُ لي واشار الى كرسي بجانبي فقلت لهُ اشكرك يا هذا ولكنني لم آتِ لاجلس بل لي صديق هنا يدعى هويتني اود ان اكلمهُ . فنظر الفتى الى يميني وسمعت من تلك الجهة حركة خفيفة فحولت نظري فرأيت هويتني بنفسهِ وهو اصفر اللون مهزول الجسم منفوش الشعر

وقد حدّق بيصره اليّ ثم قال آه يا الهي هذا وطسن. ثم اجتهد في لمّ نفسه وقال كم تبلغ الساعة الآن يا عزيزي وطسن. قلت انها الساعة الحادية عشرة . قال وما هو اليوم . قلت الجمعة ١٩ يونيو . فقال يا رباهُ انا اظنهُ الاربعاء بل اؤكد ان اليوم الاربعاء فلماذا تغشني وتخيفني . ثم ستر وجههُ براحتيهِ وجعل ينتحب . فقلت لهُ ان اليوم هو الجمعة كما اعلمتك وزوجتك في اشد القلق لغيابك هذين اليومين أفلا تخجل من نفسك يا هذا . قال بلى ولكنك واهم يا وطسن فانني لم ادخل الى هنا الا من حصة وجيزة ولم ادخن الا ثلاث او اربع لفائف ولكن على كل حال سأذهب معك لكي لا اقلق زوجتي . هات يدك . هل يوجد عربة . قلت نعم وهي بانتظارنا . قال لكن يجب ان ادفع ما يطلب مني وانا الآن لا اقدر ان اجمع فكري فهل لك يا عزيزي وطسن ان تسدد حسابي . فتركتهُ وسرت بين صفين من النيام وقد حبست نَفَسي تخلصاً من تلك الرائحة السامة . وكانت طريقي قرب المستوقد فلما بلغت الرجل الضعيف الجالس بجانبهِ شعرت انهُ جذب ثوبي وقال هامساً اذا تجاوزتني فانظر الى ورآئك. فاستغربت مخاطبتهُ لي بهذا الكلام والتفتُّ اليهِ وللحال كدت اصبح كمن مسهُ جنون لانني عند قدومي كنت رأيتهُ شيخاً مجعد الوجه اصفر اللون وقد تدلى غليون الحشيش بين رجليهِ كأن قواهُ لم تعد تستطيع حملهُ فلما كلمني رأيت نفس ذاك الشيخ قد عاد فتىً وعيناهُ الغائرتان قد عادتا الى لمعانهما الحادّ وذلك المجهول عندي قد صار اقرب الناس اليّ واعزّهم وهو شرلوك هولمز . فاشار اليّ ان اقترب منهُ ففعلت وقلت يا عزيزي شرلوك ماذا تفعل هنا . فقال اخفض صوتك واياك ان يلحظ احد بل اسرع وارسل صديقك الى بيتهِ وابعث بتذكرةٍ الى زوجتك كي لا تقلق لغيابك وانتظرني خارجاً فانني اتبعك بعد خمس دقائق وسأحتاج اليك الليلة . وكانت كلمات صديقي دائماً مختصرة واوامرهُ لا تحتمل المراجعة فاسرعت ودفعت حساب هويتني ثم قدتهُ الى العربة واوصيت السائق ان يوصلهُ الى منزلهِ وبعثت برسالة الى زوجتي اعلمها سبب غيابي . ولم انتظر الا قليلاً حتى رأيت ذلك الحشاش الهرم قد صار بجانبي فسرنا معاً حتى قطعنا

شارعين ولما بلغنا الشارع الثالث نفض عنهُ آثار الكبر وقوَّم قامتهُ ونظر اليَّ ضاحكاً وقال اظنك يا وطسن تعتقد انني الفت عادة الافيون فوق ما بي من العيوب . قلت الحق يقال ان وجودك في هذا الجحيم العالمي غريب . قال وقد استغربت انا ايضاً وجودك فيهِ . قلت اما انا فقد جئت للبحث عن صديق . قال وانا جئت للبحث عن عدوّ . اجل انهُ لعدوّ مخيف واعلم يا وطسن انني لو عُرفت داخل ذلك المكان لما بقيت حيًّا دقيقة واحدة ولكنهم مع مهارتهم لم يعرفوني مع اني دخلت المكان وخرجت منهُ مراراً . وقد علمت ان داخل تلك المغارة يتصل بباب سرّي يقود الى مينا القديس بولس وهو المكان الذي لو نطق لاخبرنا بتواريخ عجيبة . قلت وهل تعني الجثث التي كانت توجد طافية في ذلك المرفأ . قال نعم فانها كانت تصير جثثاً حال دخولها من تلك القهوة الى الباب السري الذي يقود الى حيث ترتكب افظع الجرائم ويغلب على ظني ان صديقنا نيفيل سانت كلار قد دخل من ذلك الباب ولكن يعود . اما نحن فبابنا السرّي هنا . ولما قال ذلك وضع اصابعهُ في فيهِ وصفر شديداً فعلمت ان تلك علامة متفق عليها وللحال سمعنا صفيراً نظيرهُ ثم صوت عجلات ووقع حوافر واذا بعربة قد صارت امامنا وانارت مصابيحها ظلمة الليل . فقال شرلوك هل لك ان ترافقني . قلت نعم اذا كنت نافعاً لك . قال الصديق الامين ومدوّن التاريخ ينفعني في كل حين وعندي في مدينة لي غرفة جميلة وسرير مزدوج ننام فيهِ معاً براحة . فقلت مستغرباً وهل انتقلت انت الى لي وتركت لندن . قال كلا بل انا هناك الى حين في منزل سانت كلار حيث اقوم بالتحقيق الحالي وهو على بعد سبعة اميال من هنا . ولكنك لا تعلم شيئاً عن ذلك فاصعد الى المركبة ثم صعد هو ايضاً وقال للخادم بعد ان نقدهُ قبصة من الدراهم انصرف يا جون فلا حاجة بنا اليك الليلة وقابلني غداً عند الساعة الحادية عشرة . ثم اخذ السوط فضرب جواد المركبة فاندفع بنا بين شوارع مقفرة ضيقة صارت تتسع في تقدمنا الى ان بلغنا الخلآء . وكان شرلوك صامتاً مفكراً ولعلمي باطوارهِ لم اكلمهُ قط مع اني كنت في منتهى الشوق لسماع حديثهِ وبعد ان اجتزنا عدة اميال انتفض فجأةً وهز كتفيهِ

ثم اشعل غليونهُ وقد دلت هيئتهُ على انهُ مسرور من نتيجةٍ وفق اليها . ثم قال لي ان لك يا وطسن موهبة صمت غريبة وقد اعجبتني بسكوتك هذه المسافة اما انا فكنت افكر في ماذا اقول الليلة لتلك الزوجة المسكينة عند ما تقابلني على الباب . قلت لا تنسَ انني لا اعلم شيئاً من ذلك . قال نعم وساخبرك فامامي معمًى غريب لديَّ مفاتيحهُ ولكنني لا استطيع القبض عليها وساتلو عليك الامر لعلك تنبهني الى ما يفيد فاسمع

انهُ في شهر مايو سنة ١٨٨٤ اتى الى مدينة لي رجل يدعى نيفيل سانت كلار وظهر عليهِ انهُ مثرٍ فاخذ قصراً كبيراً واصلحهُ وسكن فيهِ وعاش عيشة شريفة . ثم جعل يصاحب الجيران شيئاً فشيئاً الى سنة ٨٧ حين اقترن بابنة تاجر من تلك البلدة ورُزق منها ولدين . ولم يكن للرجل عمل خاص بل ظهر ان لهُ اسهماً في شركات عديدة وكان يذهب يومياً الى لندن في الصباح ويعود في قطار الساعة الخامسة . والرجل يبلغ السابعة والثلاثين من عمرهِ اما طباعهُ فحسنة وتصرفهُ في بيتهِ على غاية الاعتدال وهو محب لبنيهِ لطيف مع معارفهِ وليس عليهِ من الدين على ما علمنا حتى الآن الا مطاليب قليلة لا تتعدى ٨٨ ليرة ولهُ في البنك من الفوائض المستحقة التي لم يقبضها ٢٢٠ ليرة . وبناء عليهِ فلا تكون علاقة للاسباب المالية فيما جرى . فلما كان يوم الاثنين الماضي ذهب الى لندن ابكر من العادة وقد قال ان لديهِ اشغالاً يودّ قضاءها ووعد انهُ سيحضر معهُ الى ابنهِ صندوق لُعَب . واتفق انهُ بعد سفر الرجل بقليل وصلت رسالة برقية الى زوجتهِ من وكيل شحن في مدينة لندن يقول فيها ان صندوق بضاعة ثمينة كانت قد طلبتها من الخارج وصل ويكلفها ان تحضر لاستلامهِ . فبعد ان تناولت الغداء ركبت القطار وتوجهت الى لندن فقضت بعض الاشغال ثم توجهت الى وكيل الشحن ومركزهُ في نفس الشارع الذي وجدتني فيهِ الليلة . ولما اتمت عملها قصدت المحطة ومرّت في الشارع المذكور في الساعة الرابعة والنصف . وقد كان يوم الاثنين الماضي يوماً حارًّا فكانت مسس سانت كلار تسير الهوينى وهي تنتظر ان تلتقي بعربة فارغة تقلها الى المحطة . وبينما

هي سائرة قرب المكان الذي التقينا فيهِ سمعت صراخاً فنظرت واذا زوجها يدعوها من نافذة في الطبقة الثانية في منزل على الشارع . وقد كانت النافذة مفتوحة ورأت وجههُ بوضوح وكما قالت انهُ كان في تهيج عظيم وكان يشير اليها بيدهِ بحركة جنونية ثم اختفى فجأةً من النافذة كأن احداً دفعهُ من الداخل . واعتقدت المسكينة انهُ لا بد من وجود خطر على زوجها فاسرعت الخطى و بلغت السلم لان البيت المذكور لم يكن الا قهوة الحشيش التي رأيتني فيها الليلة . فاجتازت المدخل الاول وعزمت ان تصعد في السلم المؤدية الى الطبقة العلوية فعرض لها رجل يدعى لاسكار ورفيق لهُ دنمركي الاصل فدفعاها الى الورآء وطرداها الى الشارع . فاسرعت كالمجنونة حتى بلغت شارع فرسنو فصادفت احد رجال الشحنة ومعهُ عدد من الشرطة فطلبت مساعدتهم . ولما علموا بامرها تبعها الشحني وشرطيان وحاول صاحب المنزل ان يمنع دخولهم ولكنهم تمكنوا من الدخول جبراً الى الغرفة التي كانت مسس كلار قد رأت زوجها فيها فلم يجدوا فيها سوى رجل مقعد تدل هيئتهُ على شرّهِ ولدى سؤالهِ اقسم هو ولاسكار المذكور انهما لم يريا سانت كلار في تلك الغرفة وانهُ لم يدخل اليها احد في ذلك النهار . واقتنع الشحني بكلامهما حتى انهُ عزم على الخروج معتقداً ان السيدة عرض لها ضرب من الوهم . ولكنهُ ما عتم ان رأى السيدة المذكورة قد وثبت الى صندوق على المائدة ففتحتهُ فاذا ضمنهُ اللُعَب التي وعد زوجها ان يحضرها لابنهِ في في المسآء . فكان ظهور هذا الصندوق مع مابدا على وجه الرجل المقعد من الارتباك مما جعل الشحني يعتقد ان في الامر سرًّا ذا بال فجعل يبحث في المنزل وكانت الدلائل تزداد على حدوث جناية فظيعة . وكانت الغرفة الاولى الامامية كغرفة استقبال ومنها باب يوصل الى غرفة صغيرة للنوم ولها نافذة تطل على النهر و بين هذه الغرفة والنهر علامة خشبية تجف عند جزر النهر وتبتل عند مدهِ الى علو ار بع اقدام ونصف . وكانت نافذة غرفة النوم كبيرة وتفتح من اسفلها وعند البحث وجد الشحني آثار دم على خشب النافذة ثم قطرات دم اخرى متفرقة في ارض الغرفة . ثم عثر ورآء بعض الستائر على ثياب المستر نيفيل سانت كلار كلها حتى حذآئهِ وقبعتهِ وساعته

ما عدا السترة فانها كانت مفقودة ولم يكن في ملابسهِ ما يدل على حصول عراك او عنف . وغير ذلك لم يوجد شيء من آثار المستر سانت كلار فيظهر انهُ رُمي بهِ من النافذة لانهُ لا مخرج سواها وقد ظهر من قطرات الدم ما يؤيد ذلك وان الرجل لم يكن في امكانهِ ان يخلص نفسهُ بالسباحة لان المدّ كان في معظم ارتفاعهِ وقت حصول تلك المأساة . اما الرجلان فظهر من انكارهما السابق ثم الادلة التي بدت ان لهما يداً في العمل . وكان لاسكار مشهوراً بسوء اعمالهِ ولكن تقرير مسس سانت كلار انها رأتهُ في اسفل السلم بعد ان رأت زوجها ببضع ثوانٍ يظهر انهُ ليس الفاعل بل المساعد . ولدى سؤالهِ عن الرجل المفقود اظهر تمام التجاهل وسئل عن الرجل المقعد الساكن عندهُ فقال انهُ ليس مسؤولاً عن اعمالهِ وانهُ لا يعلم ما يصنع لانهُ منفردٌ عنهُ في غرفتهِ . واما الثياب المخبوءة وراء الستائر فلم يعلم عنها شيئاً

وكان الرجل المقعد يسكن في الطبقة الثانية من ذلك المنزل ولا شك انهُ هو آخر من رأى المستر سانت كلار ويدعى ذلك الرجل بون . اما هيئتهُ ففظيعة ووجههُ مخيف وهو مستعطٍ يخشى ان تقبض عليه الشرطة فكان يبيع علب الثقاب في الشوارع مستنداً على عكازهِ وكان مركزهُ على الغالب في منعطف في طرف الشارع حيث يجلس على مقعد حجري ويضع علب الثقاب امامهُ فلا يكاد يمر انسان من تلك الجهة الا ويراهُ فيتحنن عليهِ ويلقي في يدهِ شيئاً من النقود . وقد رأيتهُ مراراً عديدة في مروري من ذلك المكان قبل ان انتبه اليهِ او الى صناعتهِ ولكن من رآهُ مرة واحدة لا ينساهُ ابداً فشعرهُ برتقالي اللون ووجههُ مصفرّ فيهِ اثر جرح قد امتدّ الى شفتهِ العليا فانقلبت الى الاعلى ولهُ لحية عريضة وعينان سوداوان حادّتا النظر جدًّا يستغرَب وجودهما مع شعرهِ المحمرّ

ولنرجع الى حديثنا . فلما رأت مسس سانت كلار آثار الدم أُغمي عليها فامر الشرطي ان تنقل في عربة الى منزلها لان وجودها لا يفيد شيئاً في البحث . ثم عاد الشحني الى متابعة الفحص فلم يجد في المنزل ولا في جوارهِ ما يلقي اقل نور على هذه الغوامض غير انهم لما قبضوا على المقعد راوا على كم قميصهِ الايمن بعض نقط دم فاراهم اصبع

اليد الثانية مجروحة وقال ان الدم من هذا الجرح وانهُ توجه الى النافذة واستند اليها وما رأوهُ عليها وفي ارض الغرفة من الدم لم يكن الا من الجرح المذكور . وقد انكر بتاتاً انهُ يعرف سانت كلار كما انكر ما ذكرتهُ المرأة من انها رأت زوجها من النافذة . واما وجود ثياب الرجل في تلك الغرفة فسرٌّ لا يدركهُ اكثر مما يدركهُ رجال الشحنة

ولما نقلوهُ الى دار الشحنة بقي الشرطي ينتظر هبوط المياه وجزرها لعلهُ يكتشف شيئاً جديداً . فلما انتهى الجزر وجدوا على رمال النهر لكن لا جثة نيفيل سانت كلار بل سترتهُ المفقودة . واغرب من ذلك انهم عند ما فحصوها وجدوا في جيوبها مبلغاً من البنسات وانصاف البنسات ولما عدوها وجدوا مجموعها اربعمئة وواحداً وعشرين بنساً ومئتين وسبعين قطعة من انصاف البنس . فالظاهر ان المسكين التي في المآء عرياناً ولما علم المقعد ان زوجة سانت كلار ذهبت تستدعي الشرطة اراد التخلص من الثياب وعلم انهُ لو القاها الى النهر لا تغرق فعمد الى حيث خزن القطع التي يجمعها من بيع الثقاب فملأ جيوب السترة والقاها من النافذة وقبل ان يتمكن من عمل مثل ذلك ببقية الثياب كانت الزوجة قد عادت برجال الشحنة . وعلى كلٍ يجب ان نفترض ذلك الى ان نرى وجهاً آخر . ولما أُخذ بون الى دار الشحنة لم يظهر ان لهُ اقل سابقة تشين سلوكهُ بل كان معروفاً من سنوات انهُ مستعطٍ يعيش من بيع الثقاب واحسان المارة وان عيشتهُ بسيطة هادئة . بقي علينا ان نعلم ماذا كان يفعل سانت كلار في ذلك المنزل وماذا جرى لهُ فيهِ واين هو الان واي علاقة بين اختفائهِ والمقعد بون . حقاً يا وطسن ان الحادثة في منتهى الغرابة ولم ارَ ما يضاهيها في جميع الحوادث التي بدأت ببساطة نظيرها

و بعد ان عاد شرلوك الى سكوتهِ والعربة تسرع بنا راينا عن بعد منزلاً فخماً وسط حديقة غنآء ورأينا نوراً بين اشجارها فقال شرلوك هوذا منزل الرجل ولاشك ان تلك المرأة المسكينة قد سمعت صوت المركبة فهي بالانتظار . قلت ولمَ لم تشتغل بهذه القضية في منزلك بشارع باكر كعادتك وآثرت المجيء الى هنا . قال لانهُ لا بد من الحصول على بعض افادات هنا . وقد سمحت لي السيدة مسس كلار

بغرفتين وكنت اودّ ان لا اواجهها الآن لانني لا استطيع ان افيدها شيئاً عن زوجها. وبلغت العربة المكان فوقفنا وجآء خادم اخذ الجواد فترجلنا واذا بالباب قد فتح وخرجت منهُ فتاة بيضآء اللون مرتدية ثوباً من الحرير الابيض اما جسمها وجمالها فمما لا استطيع ان افيهُ حق الوصف . ولما رأت شرلوك وبصحبتهِ شخص آخر ظنتهُ زوجها فهجمت كالمأخوذة ولكنها ماعتمت ان رأت خطأها فوقفت فجأةً وتنهدت تنهداً كسر قلبي . فقال شرلوك هذا صديقي الدكتور وطسن فقد كان عضدي في عدة مسائل مهمة وقد ساقتني التقادير الى مقابلتهِ فاحضرتهُ معي لنتشارك في عملنا الحالي . ولما دخلنا وجلسنا نظرت السيدة الى شرلوك وقالت لهُ ما ورآءك . قال لا شيء . قالت لا تظن يا مولاي انني عصبية المزاج تؤثر فيَّ الاخبار مهما كانت ولذلك ارغب اليك ان تجيبني بمنتهى الصراحة كما تخاطب رجلاً نظيرك فهل تعتقد الاعتقاد التام ان زوجي نيفيل حيّ . ولما ظهرت على شرلوك علامات الارتباك ولم يجب قالت استحلفك بشرفك ان تتكلم بما يوحيهِ ضميرك . فقال اذاً اقول لكِ بكل حرية يا مولاتي انني لا اعتقد ذلك . قالت وهل تظن انهُ مات . قال هذا ما ارجحهُ . قالت وفي اي يوم كان موتهُ . قال يوم الاثنين . فجحظت عيناها وقالت اسألك اذاً ان تفسر لي كيف وصلتني هذه الرسالة منهُ اليوم . وما سمع شرلوك ذلك حتى وثب عن كرسيهِ كانهُ بفعل الكهربائية وقال ماذا تقولين . فتبسمت وقالت نعم في هذا النهار اوصل لي البريد منهُ هذه الرسالة وها هي . فاخذها شرلوك بلهفة في يدهِ ووقفتُ بجانبهِ فوجدنا الغلاف صفيقاً وعليهِ طابع بريد جرافساند وقد وُسم بتاريخ ذلك اليوم . وبعد ان قرأ شرلوك العنوان قال هذا الخط الغليظ ليس خط زوجك . قالت كلا بل الرسالة نفسها بخطهِ . قال ويظهر ان الذي ارسل الرسالة ذهب الى محل آخر ليكتب العنوان لان الاسم لا يزال حبرهُ اسود مما يدل على انهُ جفّ لنفسهِ مع ان بقية العنوان بحبر اقل سواداً مما يدل انهُ كتب ونشف بالورق النشاف . ثم نظر في الرسالة فقال وهل انتِ متحققة ان هذا هو خطهُ . قالت نعم . فقرأ شرلوك ما يأتي — « عزيزتي الوحيدة . لا يخيفك غيابي فالنهاية

حسنة . اما غيابي فلسوء فهم لا بد من اصلاحهِ قريباً فانتظري بصبر . نيفيل » — ثم قلَّب شرلوك الرسالة في يدهِ وقال الورق مقطوع من دفتر والكتابة بالقلم الرصاص وقد وُضع في البريد بتاريخ اليوم الذي نحن فيهِ فان كنت يا سيدتي متيقنة ان هذا الخط هو خط زوجك فهو حيٌّ يرزق ما لم يكن في الامر سرٌّ يفوق ادراك البشر . قالت انني شاعرة بانهُ لا يزال حيًّا . فقال شرلوك قد علمنا مما مضى ان زوجكِ لم يقل شيئاً عن غيابهِ عند خروجهِ من البيت وانكِ نظرتهِ في النافذة وانهُ اشار بيدهِ ثم اختفى عنكِ وانهُ لم يعتد تدخين الافيون فما الذي اوصلهُ الى ذلك المنزل يا ترى. ولكن مهما يكن فلا بد لنا من ترك البحث في هذا الامر الى الغد

ثم قمنا لتناول العشآء و بعد ذلك دخلنا غرفة كبيرة فيها سريران فخلع شرلوك ثيابهُ وجلس على كرسيٍّ وقد وضع امامهُ كمية من التبغ فعلمت انهُ لن ينام في تلك الليلة كما هو شأنهُ اذا كان لديهِ معمًّى ولم يستطع حلهُ. اما انا فكان قد ادركني التعب والنعاس فنمت حالاً الى الصباح ولما استيقظت وجدتهُ لا يزال كما كان . فنظر اليَّ وقال هيا بنا يا وطسن و بينما ترتدي ثيابك اكون احضرت العربة بنفسي لان الخدم لم يستيقظوا بعد . فنظرت الى ساعتي واذا بها النصف بعد الرابعة . ولم اكد اتمُّ لبسي حتى عاد بالعربة وهو يتبسم وقد رأيتهُ مشرق الوجه بعكس ما كان عليهِ امس فقال ربما تعتقد يا وطسن انني قد فقدت عقلي اما انا فاظن انني تمكنت من كشف القناع عن هذا الحادث وقد وجدت برهاني في غرفة الحمّام وهو الآن في حقيبتي هذه . ولما قال ذلك خرجنا فركبنا العربة والهب ظهر الجواد بسوطهِ فجعل يعدو بنا بسرعة البرق وكان شرلوك يتبسم وهو يقول اجل قد كنت اعمى عن حقيقة واضحة فما احرى الانسان ان لا يهمل شيئاً مما يراهُ . ولم نزل سائرين حتى بلغنا لندن وتوجهنا توًّا الى دار الشحنة ولما دخلنا سأل شرلوك عن الضابط ولما عرف اسمهُ طلب مقابلتهُ فقابلهُ هذا بسرور وسألهُ عن حاجتهِ فقال شرلوك اتيت لاسألك عن المستعطي بون المتهم في قضية اختفآء المستر سانت كلار . فقال الضابط نعم قد حبسناهُ هنا لاتمام التحقيق وهو على ما يظهر رجل بسيط سكوت ولكنهُ قذر

للغاية قد تشمئزّ من منظره وقد اجتهدنا كثيراً ان نحمله على غسل وجهه ويديه فامتنع . فقال شرلوك كنت اود جدًّا ان اواجهه . فقال الضابط لا اسهل من ذلك فدع حقيبتك هنا واتبعني . قال بل اوثر ان آخذها معي. ثم سار الضابط امامنا وتبعناه حتى بلغ غرفة السجين ففتح بابها ودخلنا فوجدنا الرجل نائماً . فقال الضابط ارايتم كم هو قذر حتى يكاد الوسخ يخفي لونه . فتبسم شرلوك وقال قد علمت هذا ولذلك احضرت له في حقيبتي هذه ما يلزم لتنظيفه . ثم فتح الحقيبة واخرج منها اسفنجة كبيرة جدًّا فبلها بالماء واقترب امامنا من الرجل النائم وبخفةٍ زائدة مسح وجهه بعنف ثم التفت الينا فقال يا عزيزي وطسن ويا حضرة الضابط اسمحا لي ان اقدم لكما المستر نيفيل سانت كلار

فلم اعجب في كل حياتي وما صادفني فيها كما عجبت عند ما رأيت ان ذاك المقعد السجين القذر الاسود اللون الاشقر الشعر قد تحول فجأةً تحت يد شرلوك هولمز الى رجل شريف الهيئة اسود الشعر ابيض الوجه وقد زال منه أثر الجرح وانقلاب الشفة . واستيقظ الرجل فنظر الينا مبهوتاً ولما رأى نفسه قد انكشفت هيئته خرّ بوجهه الى الارض وجعل ينتحب . فقال الضابط يا لله ان هذا هو بالحقيقة نفس الرجل المفقود كما تدل صورته وقد قضيت سبعاً وعشرين سنة في خدمتي بين المسجونين فلم ارَ اغرب من هذا الامر . وهدأ الرجل روعه فقال نعم انا هو نيفيل ولكن هل ارتكبت جرماً حتى تسجنوني . فقال شرلوك انك لم ترتكب جريمة ولكن كان يجب على الاقل ان تطلع زوجتك على سرك هذا . فقال الرجل بحزن لا تهمني زوجتي بقدر ما يهمني اولادي فانني لا اريد ان يخجلوا بابيهم فآه آه ماذا افعل الآن . فعمد شرلوك الى ملاطفته وقال ان امرك اذا اتصل بالمحكمة لا يعود في امكانك تلافي الفضيحة ولكني انصح لك ان تطلعنا على سرك فاذا لم يكن فيه شيء يخالف العدالة فانا اضمن لك ان حضرة الضابط يكتمه . فقال نيفيل اشكرك يا مولاي فقد كنت افضل السجن بل الموت على ان اجعل سرّ حياتي لطخة سوداء في اعين اولادي واليكم قصتي

كان والدي استاذاً في مدرسة شسترفيلد حيث تربيت انا ولما شببت سافرت واشتغلت بالتمثيل في الملاعب ثم صرت منشئاً لجريدة . واراد يوماً صاحب الجريدة ان يكتب شيئاً عن المستعطين في العاصمة فتطوعتُ لذلك واردت ان اختبر بنفسي ما سأكتب عنهم وكنت قد اتقنت على ملعب التمثيل طريقة تغيير هيئتي بان اضع على رأسي وفرة من الشعر البرتقالي اللون واصبغ وجهي بلون قذرٍ واظهر فيهِ علامة الجرح وانقلاب الشفة العليا فكنت افعل ذلك واقف في نقطة من الشارع المأهول مدة سبع ساعات . ولما رجعت الى منزلي اول ليلة وجدت انني قد جمعت من الاستعطآء لا اقل من ستة وعشرين شليناً . ثم كتبت مقالتي الاولى في الجريدة فكان لها وقع عظيم . واتفق بعد ذلك ان ضمنتُ صديقاً على قيمة ٣٥ ليرة ولم يدفعها فطالبني الدائن ولم يكن عندي ما ادفع فحرت في امري ثم خطر لي امر الاستعطآء فطلبت من الدائن مهلة اسبوعين كنت في أثنآئهما ابدل هيئتي كما ذكر واستعطي فلم يمضِ عليَّ عشرة أيام حتى جمعت القيمة وسددت الحساب . أما دخلي من شغلي فلم يكن اكثر من ليرتين في الاسبوع فسئمت ذلك العمل ولا سيما عند ما رأيت انهُ يمكنني بالاستعطآء أن أربح مثل هذا المبلغ في يوم واحد بمجرد تغيير هيئتي قليلاً . وقد نازعت ضميري كثيراً بين شرف نفسي وهذه الصناعة الدنيئة ولكن حب المال غلب اخيراً فتركت الجريدة وعمدت الى هذه الصناعة ولم يعلم احد قط بامري الا رجل يدعى لاسكار صاحب قهوة حشيش اجرني غرفة عندهُ . فكنت آتيهِ في الصباح واخرج من غرفتي عندهُ مستعطياً ثم اعود في المسآء فاغسل وجهي واعود الى حالتي وكنت ادفع لهُ اجرة كافية تضمن لي انهُ يحفظ سري . ومرت بي الايام وما اتظاهر بهِ من تلك الحالة يستدعي شفقة الناس عليَّ فتنهال عليَّ الصدقات وكان اقل معدل ما اجمعهُ سنوياً سبعمئة ليرة لانهُ لم يتفق ان اجمع يوماً اقل من ليرتين . وكنت كلما زادت ثروتي يزيد طمعي فابتعت منزلي الحالي وتزوجت ولم يسأل احدٌ عن مهنتي او عملي اما زوجتي فقد علمت ان شغلي في لندن ولم تعرف ما هو . ويوم الاثنين الماضي بعد ان فرغت من عمل النهار ذهبت الى غرفتي لأغير هيئة

الاستعطآء واعود الى منزلي ونظرت من النافذة فرأيت زوجتي فحملني الاستغراب على ان صحت صياح التعجب ورفعت ذراعيّ لاستر وجهي واسرعت الى داخل الغرفة وقد سألت لاسكار ان يمنع ايًّا كان من الدخول عليّ . ثم سمعت صوت زوجتي في اسفل السلم وخشيت ان تصعد فعدت الى زيّ الاستعطآء لاخفي هيئتي حتى على عين الزوجة . ولما خفت ان تنمّ ثيابي عليّ اخذت سترتي واسرعت الى النافذة ولمحاولتي فتحها بعنف علقت اصبعي في زجاجها فجرحت والقيت السترة الى النهر وكانت جيوبها ملأى بدخل نهاري فغرقت للحال . وكنت مزمعاً ان اتبعها ببقية ثيابي غير انني سمعت وقع اقدام رجال الشحنة ولما دخلوا الغرفة فبدلاً ان يعرفوني مع زوجتي انني نيفيل سانت كلار قبضوا عليّ كقاتلهِ . هذا هو حديثي بتمامهِ .وكنت اود ان ابقى متخفياً ما امكن ولهذا السبب لم اقبل ان اغسل وجهي وادركت ان زوجتي ستكون في اشد القلق فكتبت اليها تذكرة وسلمتها الى لاسكار في ساعة لم يرني فيها السجان وامرتهُ ان يرسلها اليها .

فقال شرلوك ولكن الاستعطآء ممنوع في بلادنا افلم يعلم الشرطة باستعطآئك . قال بلى وقد امسكوني مراراً وغرّموني ولكن ماذا تهمني تلك الغرامة اليسيرة بازآء دخلي الجزيل . فقال الضابط قد عرفنا القصة بتمامها الآن فاذا كنت تريد ان لا يشيع هذا الامر فعليك ان تقف عند هذا الحد وان لا يظهر بعد الآن المستعطي بون . وانا اعدك انني اطمس هذه القضية في سجلاتنا في الوقت الحاضر اما اذا عدت الى هذه الصناعة فاعلم انهُ لا يصعب عليّ فتح السجل القديم. فقال الرجل وهو لا يصدق بالخلاص والكتمان اقسم لكم يا سادتي باعز الايمان انني لن اعود الى مثل ذلك ابداً . فنهضنا وتركناهُ وخرج معنا الضابط مودعاً وهو يثني على براعة شرلوك وذكائه